



رجب مُصْتَر

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2024-01-22

عمان

الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

خواص الله في الأزمنة والأمكنة والأشخاص:

فيا أيها الإخوة الأكارم: إن الله تعالى -جلّ جلاله- خلق السماوات والأرض فخلق الأماكن، وخلق الأزمان، وخلق الأشخاص، واصطفى من أماكنه أماكن، واصطفى من الأشخاص أشخاصًا، واصطفى من الأزمان أزمانًا، فقالوا: إن لله تعالى خواصّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص فخلق الزمان وجعل شهر رمضان غرة الزمان، وخلق الليالي وجعل ليلة القدر غرة الليالي، وخلق الأماكن واصطفى منها بيوته، واصطفى من بيوته ثلاثًا لا تُشَدُّ الرحال إلا إليها: المسجد الحرام ومسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والمسجد الأقصى، وخلق الأشخاص واصطفى منهم الأنبياء والرسل، واصطفى من الرسل أولي العزم، واصطفى من أولي العزم محمدًا -صلى الله عليه وسلم-، فقالوا: إن لله خواص في الأزمنة والأمكنة والأشخاص، والله تعالى عندما خلق الشهور قال -جلّ من قائل-:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ ثَلَاثَةٌ عَشْرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ لِلَّذِينَ
لَقِيتُمْ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ كُفَّاءٌ لِقَوْمِكُمْ أَكْفَىٰ وَلَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36)

(سورة التوبة)

أي في هذه الأشهر الحرم، والنبى- صلى الله عليه وسلم- بين هذه الأشهر الحرم، فقال: -صلى الله عليه وسلم- في حجة الوداع:

{ إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ - ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمَحْرَمِ - وَرَجَبٌ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَسَعْيَانَ. }

(أخرجه البخاري، ومسلم عن أبي بكر نفع بن الحارث)

فاله -جلّ جلاله- جعل من خلال حركة القمر أشهرًا تميز بها الزمان وربّب على ذلك العبادات، فنحن يدخل شهر رمضان عندنا وفق حركة القمر، ونعرف الحج المعلومات وفق حركة القمر، ونعرف بعض الليالي التي لها فضل ومزجّة كليلة القدر وفق دورة القمر، ونعرف صيام عاشوراء والمحرم وفق دورة القمر.. وهكذا، فرّبّ العبادات على حركة الأفلاك وفي هذا إشارة إلى أهمية النظر في الكون، والتفكير في خلق السماوات والأرض:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ فِي الْقُرْبَى قُلْ هِيَ مَوْفِيَتْ لِلنَّاسِ وَالْحَجُّ وَلَيْسَ لِي بِأَنْ تَأْتُوا الْقُبُورَ مِنْ طُهورها وَلَكِنَّ لِي بِمَنْ يَأْتِي مِنَ الْقَبْرِ وَأَنْتُمْ
الْقُبُورَ مِنْ أَنْبِيئِهَا وَتَقُوا لِلَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (189)

(سورة البقرة)

سبب تسمية شهر رجب:

فمن نعم الله تعالى الظاهرة على بني آدم أنه جعل لهم هذه الحركة في الأفلاك التي يدعون من خلالها الأيام والشهور والسنوات، وإلا لصاع الإنسان وما عرف أن يميز سنة من سنة، أو شهرًا من شهر أو... إلخ، فإذا نحن قد ابتدأ شهر رجب، ورجب من الأشهر الحُرُم، والنبى -صلى الله عليه وسلم- سماه رجب مُضَرَ كما كانت تسميه العرب، ومُضَرَ قبيلة من قبائل العرب كان من ميزتها أنها لا تغير رجب بل توفعه في وقته، وسنأتي كيف كانت بعض قبائل العرب تغير في الشهور، وكلمة رجب جاءت من رَجَب الشيء إذا عظمه؛ رَجبت الشيء أي عظّمته، فلأن العرب كانوا يعظمون هذا الشهر قبل الإسلام، سُمّي رجب لشدة تعظيمه في نفوس العرب.

تعريف النسبي؟

ما الذي كانت تفعله العرب ولا تفعله مصر، فسُمّي رجب مصر؟ الذي كانت تفعله العرب هو ما يسمى النسبي، المشركون كانوا يفعلون ما يسمى النسبي، وقد بيّن الله تعالى فعلتهم الشنيعة تلك فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُبْنَ لَهُمْ شَوْءٌ أَعْطَاهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (37)

(سورة التوبة)

أي كفر فوق كفر لأنه عبث بخلق الله تعالى (يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ) هنا موطن الشاهد (فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ)؛ أي الفعل كان للثلاث المتواليات الذين هم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، يشتد عليهم طول الأمد وهم حياتهم إغارة وحروب، فثلاثة أشهر 90 يومًا كثيرة، فيأتي شهر المحرم وقد صافوا درعًا، فينقلون المحرم يجعلونه بصر، ويقولون: ألبسوا أربعة شهور هذه أربعة شهور أيضًا، لكن أربعة شهور حُرُم لكن بدل محرم نجعله بصر، يأتي صفر لا ينتهي القتال ينقلونه لربيع، فأخر شيء عندنا 120 يوم بلا قتال، لكن لا نضع الأشهر بمكانها المناسب فينسؤونه أي يؤخرونه من شهر إلى شهر.

{ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُبْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ. }

(أخرجه البخاري، ومسلم باختلاف يسير عن أنس بن مالك)

أي يُمدّ له، يُؤخّر له في أثره، في عمره (فَلْيَصِلْ رَجْمَهُ)، وعندنا بالفقه (ربا النسبة وربا الفصل) ربا النسبة: هو أن تعملي مالا وتأخذ على الزمن ثمًا فأعطيك 100 وترجعها 120 هذا ربا النسبة؛ ربا التأخير، فالنسبي هو التأخير، فكانوا يؤخرون الأشهر الحُرُم من وقتها إلى وقت آخر حتى يحلوا ما حرم الله، وزعمهم في ذلك أننا نقوم بما وجب علينا من ترك القتال في الأشهر الأربعة، لكن نحن نفضلها حسب حاجتنا للحرب، طبقا ربنا -عزّ وجل- يوم خلق السماوات والأرض وخلق الأشهر وجعل منها الأربعة الحرم هذه لها حكمة، الحكمة بذلك أن الإنسان يدافع قوته ويدافع عنفوانه لا يرضى أن يوقف الحرب إلا مبداً غالب ومغلوب، يدافع من عنفوانه وقوته، فكان الله تعالى قال: سأجعل لكم أشهرًا سيكون إيقاف الحرب فيها لزامًا على الطرفين، فعندها لا تنكسر شوكة لا هذا ولا ذاك، فيقول له: الشهر الحرام، الآن ربما يكون الطرفان يمتنون بإيقاف الحرب، تبعوا.

فالحرب صعبة على الطرفين لكن عزة النفس وعزة العربي لا يقف حتى لا يُقال غُلب، فنأتي بالأشهر الحُرْم فيتوقف القتال فيذوق الناس طعم الأمن لعلمهم لا يعودون إلى تلك الحروب، طبقًا ليس الجهاد شيء آخر، نتكلم عن الحروب العنيفة التي هي عبارة عن داحس والغبراء، وقتال من أجل ناقة وكذا كما كان العرب، فجعلت لهم هذه الأشهر الحُرْم يتوقف فيها القتال بأمر الله تعالى وليس على مبدأ الغالب والمغلوب، هذه حكمة الأشهر الحرم في الأصل، لكن هؤلاء رغبناهم في متابعة القتال من أجل العنايم والإغارة... وكذا جعلوا يتلاعبون بدين الله تعالى، إذا نظرنا إلى هذا التلاعب قد يقول قائل: الجماعة 120 يوم ما قُصروا ورُغم ذلك قال الله تعالى: **﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾** العدد بالنتيجة جئنا به تمامًا، قال: **﴿فِيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾** فشنع الله عليهم فعلتهم لأن الله أمرهم بشيء ثم استحلوا حرامًا حرمه الله تعالى، لذلك كان السلف يقولون: **"لا تنظر إلى صغر الذنب، ولكن انظر على من اجترأت"** المشكلة في أنك اجترأت -والعباد بالله- أنك العاصي الذي لا يتوب، العاصي الذي يفعل ويقول: ماذا فعلت؟! المشكلة أنك اجترأت على الخالق -جل جلاله- الذي قال لك: الربا حرام ثم رايبت، أو الزنا حرام ثم فعلت، فلا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت.

امتحان الحلال والحرام حاصل لا يتوقف:

اليهود كانوا يفعلون الفعلة نفسها بطريقة مختلفة، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاصِرَةً لِّتَجْرٍ إِذْ يَبْعُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163)

(سورة الأعراف)

قرية من قري بني إسرائيل كانت على البحر مباشرة **﴿إِذْ يَبْعُدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾**، هؤلاء قال لهم ربنا-عز وجل-: "هذا السبت مُعظَّم، الصيد يوم السبت ممنوع"، باتون للبحر يرون السمك يوم السبت يخرج شُرَّعًا؛ يظهر على السطح، وهم بداخلهم يريدون أكل السمك، البارحة ما كان هناك سمك!!! **﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ جِثَاتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾** أي يوم لا يراعون أمر السبت لا تأتيتهم، يوم يقولون: هذا السبت لن نصيد سنتلزم تخرج الجيتان، هذا السبت لن نلتزم نذهب الجيتان؛ شيء غير طبيعي، قال: **﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** هذه العقوبة تأديبية بسبب فسقهم، فجعل الله تعالى عقوبتهم وابتلاءهم في هذا الأمر، وهذا مثله- أريد أن أصل إلى فكرة الموضوع- وهذا مثله جرى مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَتَّالُهُمْ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ يُغَيِّبُ مَن يَشَاءُ لِيُعَذِّبَ ذَٰلِكَ قَلْبَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (94)

(سورة المائدة)

يخاطب المؤمنين، **﴿لِيَبْلُوكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَتَّالُهُمْ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾** مُحرَّم لبس ملابس الإحرام ودخل في النسك وخرجت له الغزلان وخرج له الصيد-والعربي يحب الصيد-، وصارت **﴿تَتَّالُهُمْ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾** يمر من أمامه يستطيع إمساكه والصيد ممنوع **﴿تَتَّالُهُمْ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾**، ما السبب؟ قال: **﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ﴾** **﴿لِيُعَذِّبَ﴾** هي القصة امتحان، أحيانًا يسأل الإنسان ما الحكمة؟ يا أخي ألا يكفي أن الحكمة أنك تُمتحن، فتثبت أنك تحب الله تعالى أكثر مما تحب هذا الصيد، أو مما تحب هذا السمك؟! هي القصة امتحان فمجموع هذه النصوص تؤكد حقيقة؛ أن **﴿الْمُؤْمِنُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنِ إِحْلَالِ مَا حَرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ الْأَرْضِ عَنِ السَّمَاءِ﴾** ما يسمى بالحيل يسمونها زورًا (حيلة شرعية) المؤمن ليس له إليها سبيل، المؤمن لا يحتال أن الحول يحول بـ1 شعبان على ماله، وهو بـ29 رجب يقوم بشراء بيت، يشتري ويقول: صار الآن بيتًا ليس عليه زكاة، وتم يقوم بعرضه للبيع؛ أي باختصار لا يتحایل المؤمن لأن القصة علاقة مع ربنا -عز وجل-، فلا يحاول أن يتهرب من زكاة ماله، ولا يقول لك: هذه التي أخذها عوائد وليست فوائد، هل إذا أبدلت الفاء ووضعت عينًا تمر؟! ولا يشربون الخمر يسمونها بغير مسمياتها مشروبات روحية، ولا يستمعون للأغاني الماجنة والمحزومة التي فيها فسق وفجور، ويقول لك: هذا على الإذاعة غير المجالس، ويفعل أشياء لا ترضي الله -عز وجل- ثم يقول: الزمن تغير، ولا يقول لك: على الشاشنة لا يوجد مشكلة في النظر، النظر المحرم هو النظر للمرأة مباشرة، هنا على الشاشنة لا يوجد مشكلة والشهوة موجودة، والمحزوم موجود، والنظر الذي منعه الله موجود، أي أفعال اليهود في حيلتهم التي كانوا يسمونها حيلة شرعية، ما الذي كانوا يفعلونه؟ عندما يريدون أن يلتزموا بيوم السبت لا بد بأن يوم السبت يضعون -لأن الجيتان شُرَّع- يضعون الشباك ويضمونها لتصير عندهم كلها، يوم الأحد يأخذونها، تمام هكذا؟ يقول لك: سيدي هذا فقه؟ فيقول: والله صحيحة، الأحد أنا اصطدت وليس السبت.

المؤمن عنده حب لتنفيذ أمر الله-عز وجل-، هو يتفانى إخلاصًا في أنني أصليع الله تعالى فيما أمر، ليست القضية في أن أبحث عن فتوى أتهرب بها من قضية الشرعية، وإنما أنا بالعكس إذا قيل لي: "حرام"، حرام، حتى إذا قيل لي: إن هذا الأمر فيه شبهة يميل حيتًا إلى الحلال وحيثًا إلى الحرام فالتزم قوله -صلى الله عليه وسلم-:

{ دَعِ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طَمَئِينَةٌ وَإِنَّ الكَذِبَ رِيْبَةٌ }

(أخرجه الترمذي، وأحمد واللفظ لهما، والنسائي مختصرًا عن الحسن بن علي بن أبي طالب)

فالذي خطر ببالي في شهر رجب، جاءت الفكرة من النسيء وهو نقل الشهر، والثانية لإصيد نضع الشباك يوم السبت ويخرجهم الأحد حيلة، والثالثة ما حصلت- الحمد لله- لأن صحابة رسول الله أشد الناس التزامًا، لكن رغم ذلك خاطبهم ربنا قال: **(لَيْتَلُوْكُمْ لِلَّهِ بِسْمِئِهِ مِّنْ لِّصَبْدِ تَنَالِهِ أَيْدِيكُمْ وَرَمَاحِكُمْ)**، فالامتحان يا كرام بالحلال والحرام حاصل لن يتوقف، والحكمة في أن تُظهر أنت لله تعالى مدى التزامك بشرع الله تعالى، يقول لك أحدهم: أنا البارحة التزمت وتزمت المجالس، اليوم رفاقي لي فترة لم أرهم من سنة، اليوم اتصلوا وقالوا لي: تعال هناك سهرة، وسهرتهم لا ترضي الله عورات وكلام وحديث خارج، اليوم اتصلوا بي **(لَيْتَلُوْكُمْ لِلَّهِ بِسْمِئِهِ مِّنْ لِّصَبْدِ)**، والله كان يوجد شخص بالشام له جلسة لا ترضي الله أبدًا وفيها خمر-والعياذ بالله- وبعدها ذهب للحج، أحد الشيوخ الذين أعرفهم قال له: إن شاء الله هذه الحجة كفارة لما قبلها، ومن اليوم تنتهي وكذا.... إلخ، اتصل به رفاقه: لا والله تعال، تأتي لا تأتي... ذهب للسهرة، عندما أصبح في الداخل المعصية لها قوة جذب، قوة جذب مخيفة مثل التيار الكهربائي، الا نقول: لا تقترب من منطقة التيار الكهربائي حتى لا يجذبك، لذلك ربنا قال:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
قُلْ تَعَالَوْا اَنْزِلْ مَا حَزَمَ رَبُّكُمْ عَلٰیكُمْ اَلَّا تَشْكُرُوْا بِهٖ سُبْحٰنَہٗ وَبِوَالِدِیْنِہٖ اِحْسٰنًا وَّلَا تَقْتُلُوْا اَوْ لِدَکُمْ مِّنْ اِمْلٰقٍ تَحٰنٍ
رَبُّکُمْ وَاَبَآئُہُمْ وَلَا تَقْرُبُوْا اَلْفَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْہَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَقْتُلُوْا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللّٰهُ اِلَّا بِحَقِّہَا لَکُمْ وَاَنْتُمْ لَعٰلَمُوْنَ (151)

(سورة الأنعام)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَلَا تَقْرُبُوْا اَلزَّیْنٰتِ الَّتِیْ کَانَ فِجْنَتُہَا وِسَآءً سَبِیْلًا (32)

(سورة الإسراء)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
اَجَلٌ لَّکُمْ لَیْلَةٌ لِّصَیَامٍ لَّزَقْتُ اِلٰی نِسَآئِکُمْ هَرًّا لِّبَاسٍ لِّکُمْ وَاَنْتُمْ لِتَاسٍ لَّهِنَّ عَلِمَ لِلّٰہِ اَنَّکُمْ کُنْتُمْ تَخْتٰنُوْنَ اَنْفُسِکُمْ فَتَابَ عَلَیْکُمْ وَعَقَا
عَنْکُمْ فَالَّذِیْنَ تُشِرُّوْهُنَّ وَتَتَّعُوْنَ مَا کَتَبَ لِلّٰہِ لَکُمْ وَکَلُوْا وَشَرَبُوْا حَتّٰی یَبۡیۡنَ لَکُمْ لَخِیۡطٌ لَّا یَبۡیۡنُ مِنَ لَخِیۡطِ الْاَبۡسُوۡدِ مِنَ لَقَعۡجٍ ثُمَّ
اَتَمُّوْا لِّلصَّیَامِ اِلٰی الْاِیۡلِ وَلَا تُبۡشِرُوْهُنَّ وَاَنْتُمْ غٰکِفُوۡنَ فِی الْمَسٰجِدِ یَلٰکَ حُدُوۡدٌ لِلّٰہِ فَلَا تَقْرُبُوْہَا کَذٰلِکَ یُبۡیۡنُ لِلّٰہِ عَآئِیۡہِۙ لِلنَّاسِ لَعَلَّہُمْ
یَتَّقُوۡنَ (187)

(سورة البقرة)

ابقي بعيدًا دع مسافة أمان، فهو لم يترك مسافة أمان" أذهب لكن لن أشرب" أحدهم سأله: كم كلفتك حجتك؟ كانت الحجة بوقتها تكلف حوالي سبعين أو ثمانين ألفًا قرابة الألف.. الألف وخمسمئة دولار، قال له: سبعون ثمانون ألفًا، قال له: هذه السبعون الثمانون ألفًا مني واشرب، من كلمة لكلمة شرب، توفي بعد أسبوع، فالابتلاء حاصل يا كرام، ربنا يريد أن يمدد، سيأخذ منك آخر الشيء موقوفًا إما أنت ثابت أو غير ثابت، فالإنسان يجب أن يجهز نفسه، أن يقول بلا امتحان فيقول: الله يبعد عني الحرام فلا يأتي- إن شاء الله- نسأل الله ذلك كلنا، نسأل الله ألا يفتتنا بشيء لا نستطيع قوة عليه لكن ربنا لا يكلف نفسيًا إلا وسعها، فالإنسان يوطن نفسه دائمًا بأن هناك **(بِسْمِئِهِ مِّنْ لِّصَبْدِ تَنَالِهِ أَيْدِيكُمْ وَرَمَاحِكُمْ)**، أي يوجد معصية قريبة منك لا تفعلها، أما إذا كانت المعاصي كلها مغلقة لم يعد هناك امتحان، يريد أن يسرق البيت ودهم عثروا القفل، يريد أن يزني عمل حادث سيارة على الطريق، تحصل أحيانًا ربنا يؤدب الإنسان بحجبه عن المعصية، لكن آخر شيء يوجد شيء تناله يدك، كل إنسان فينا يوجد شيء تناله يده، مضطر لمبلغ مالي وموظف وجاءته رشوة، ربنا يريد أن يمتحنك ويرى هذا الصيد تلتقطه أم تتركه مثل صيد الحرم تمامًا، عندما تثبت لله -عز وجل- أنك أنت فعلاً مؤمن ولا ترضى فعل هذه المعاصي والآثام يبدأ بالمرحلة الجديدة التي هي مرحلة الإكرام و التمكن من ربنا-عز وجل-، تشعر بالثبات بعدها، تقول: أشعر نفسي أصبحت بمنطقة ثابت فيها، لم تعد تنيني سيئاتك الذهب اللامعة ولا سيات الجلادين اللادعة عن ديني، صرت في حرز، لا يوجد حرز 100% لأننا كلنا دائمًا في طور:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
اِيَّاكَ تَعْبُدُ وَاِيَّاكَ تَسْتَعِيۡبُ (5)

(سورة الفاتحة)

{ كَتَّأَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَقَرٍ، فَكُنَّا إِذَا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ ارْتَبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، وَلَكِنْ تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا ثُمَّ أَتَى عَلَيَّ وَأَنَا أَقُولُ فِي تَفْسِي: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بَنَ قَيْسٍ، قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَإِنَّهَا كُنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ أَوْ قَالَ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ هِيَ كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ. }

(أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري)

لا حول عن معصيته، ولا قوة على طاعته إلا به -جل جلاله-، لا نستطيع أن نتقوى على طاعته إلا إذا أعاننا، ولا نحول عن معصيته إلا إذا أعاننا، وكلنا ذو خطأ، وخير الخطائين التوابون وكل بني آدم خطاء، ولكن إن شاء الله يصبح الإنسان بحرز بمعنى أنه تسره حسنته وتسوؤه سيئته، قال -صلى الله عليه وسلم-:

{ مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكُمْ الْمُؤْمِنُ }

(أخرجه الترمذي، وأحمد باختلاف يسير عن عمر بن الخطاب)

إذا أحسن يُسر، وإذا جاءت سيئة من الصغائر تسوؤه فيتوب منها، هذا الحرز الذي قصدته، أما بالبداية لا بد من بعض...، الآن هناك مرحلة لكن أنا أعلم والله أن هناك أشخاصا ربنا مكثهم منها-نساء-الله أن يمكننا منها- حديث وإن كان فيه ضعف، صححه بعض أهل العلم، قال: " لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَتَعًا لِمَا جَنَّتْ بِهِ " أي بالإيمان الكامل، التام 100%، هذه مرحلة متقدمة جدًا، كل واحد منا يشعر بها بمكانها، أنا مثلاً أحسب الكرام الذين أحاط بهم الآن لا يوجد إنسان يرغب- والعباد بالله- بالزنا مثلاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِمَّنِ لَتَسَاءُ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22)

(سورة النساء)

ليس لا يفعله لأنه حرام فقط ولكن لأنه فعلاً هو لا يجد في نفسه رغبة به، لأن هذا - والعباد بالله - دمار وكذا... إلخ، ربما بنفس الشيء مع الخمر، وهذا من نعم الله أن يكون هوك تَبَعًا لما جاء به رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن بمرحلة معينة يصير فعلاً بكل شيء أمير بالقيام وهو يحب القيام، أمر بالصلاة وهو يحب الصلاة، نُهي عن الكذب وهو يقول لك: "ما أفحش الكذب!! لا أحبه ولا أحب من يكذب ولا أقترب ممن يكذب"، يصبح ما تهواه نفسه تَبَعًا لما جاء به رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فالقضية مدارها على أن ما يُسقى الحيل- وإن سمّوها حيلاً شرعية- ينبغي أن نتعد عن الحيل لأن مع ربنا-عز وجل- لا يوجد حيل، الحرام بين والحلال بين، فإذا كان الإنسان يريد أن يحتال على ترك الزكاة أو يحتال على أخذ الربا أو يحتال على أكل المنكرات فيكون حاله كحال من كانوا ينسوون في الشهر الحرام فيبدلون، أو كحال هؤلاء الذين كانوا لا يعظمون السبت كما أمرهم الله فيلاهم الله.

العقوبات التأديبية لبني إسرائيل:

بالمناسبة بنو إسرائيل كان هناك عقوبات تأديبية جدًا لهم -أجارنا الله تعالى منها-، ربنا -عز وجل- بسورة الأنعام عندما ذكر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَمْيِئَةً أَرْوَجُ مِمَّنِ لَصَّا بِنِ تَمِينِ وَمِنْ لَمَعِ بِنِ تَمِينِ فُلٌ أَلَذَّكَرِ بِنِ حَرَمِ أَمْ لَأَنْتَبِينَ بِنِ أَمَّا شَتَمَلَتْ عَلَيْهِ
أَرْخَامٌ لَأَنْتَبِينَ بِنِ تَبُونِي يَعْلَمُ إِنْ كُنْتُمْ ضِدْقِينَ (143)

(سورة الأنعام)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَا أُجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَبْنِيًّا أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ
فِسْقًا أَهْلٌ لِعَيْبٍ لِلَّهِ بِهِ فَمَنْ ضَلَّ عَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (145)

(سورة الأنعام)

إلخ، ثم جاء بعد ذلك جاء بما يسمى بالعقوبات التأديبية، فجاء بعقوبات بني إسرائيل:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْإِبْرَةِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ لِحْيَاتُهُمَا
أَوْ مَا حَمَلَتْ يَدَاكَ ذَلِكَ جِزَاءُ نَجْمٍ يَتَعَبَّوْنَهُمْ إِيَّاهُ وَإِنَّ لَصُدُوفَهُمْ (146)

(سورة الأنعام)

البطة والوزة والإبل، كل ما كان ليس له أصابع منفصلة والأرنب؛ هو ليس حرامًا، ثم قال: أيضًا حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ (الإبلية)، حُرِّمَ عَلَيْهِمْ (أَوْ لِحْيَاتُهُمَا أَوْ لِحْيَاتُهُمَا) التي على الظهر (مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا) (أَوْ مَا حَمَلَتْ يَدَاكَ) الشيء اليسير، (أَوْ لِحْيَاتُهُمَا) التي هي الأمعاء الغليظة أما الباقي مُحَرَّمٌ، آخر شيء ماذا قال ربنا؟ قال: (ذَلِكَ جِزَاءُ نَجْمٍ يَتَعَبَّوْنَهُمْ) هذه عقوبة تأديبية، ربنا -عز وجل- كان يعاقبهم بسبب بغيتهم، اليوم لا يوجد تشريع أن يعاقبنا الله -نسأل الله السلامة- بسبب ما نفعله أمة الإسلام، لكن ينبغي أن نفهم من ذلك أن الإنسان ممكن أن يعاقب على مستوى الفرد إذا كان ابتعد عن منهج الله تعالى.

هل يجوز القتال في الأشهر الحُرْمِ؟

الأمر الأخير في هذا اللقاء الطيب متعلق بالأشهر الحُرْمِ وهو قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقِيلُونَكُمْ حَتَّى بَرِّدُوكُمْ غَوْلًا عَنْ دِينِكُمْ إِذْ سَتَطْعَمُوا وَمَنْ يَبْرُدْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ لَهُمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

(سورة البقرة)

أي هل في الشهر الحرام قتال؟ (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) أي عظيم عند الله أن تنتهك حرمة الشهر وأن تقاتل فيه، الآن كلام مُسْتَأْنَفٍ جديد قال: (وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ) هنا فكرة جديدة متعلقة، طبعًا هو سبب نزول الآية كما تعلمون النبي -صلى الله عليه وسلم- أرسل سرية قبل بدر بشهرين التي هي سرية نخلة، نخلة هي منطقة بين الطائف ومكة، بعثه كسرية استطلاعية، هناك غير لقريش استطلع وأرجع؛ استطلاع، ما كان هناك نية للقتال كانت الليلة الأخيرة بجمادى أو الليلة الأولى بربح؛ لأن هذه تعتمد على القمر، فالمنطقة حساسة يوجد قتال أو لا يوجد، قُتِلَ أَحَدُ الْمُشْرِكِينَ الَّذِي هُوَ ابْنُ الْحَضْرَمِيِّ بَعْدَ مَنَاوَشَاتٍ بَيْنَ السَّرِيَةِ وَكَذَا...، فالمشركون استغلوا الموقف وصاروا يقولون: المسلمون ابتدؤوا القتال في الشهر الحرام، الله أكبر!! تقاتلونا في الشهر الحرام؟! والنبي -صلى الله عليه وسلم- كثر ذلك عليه حتى الصحابة الذين كانوا بالسرية هم اثنا عشر تقريبًا أسقط في يدهم وخافوا أن يكونوا قد فعلوا كبيرة من كبائر الله في الشهر الحرام وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام"، للاستطلاع، قالوا: يا رسول الله اختلط علينا بين جمادى وبين رجب، فنزل قوله تعالى تطمئنًا لهم وبيئاتًا للأمر:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقِيلُونَكُمْ حَتَّى بَرِّدُوكُمْ غَوْلًا عَنْ دِينِكُمْ إِذْ سَتَطْعَمُوا وَمَنْ يَبْرُدْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ عَنْ دِينِهِ قِيمَتٌ لَهُمْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217)

(سورة البقرة)

لكن أتم الصد عن سبيل الله والكفر بالله والمسجد الحرام وإكراه الناس على الشرك بالفتنة- تفتنهم عن دينهم- هذا أشد من القتل الذي تحدثون عنه قتل شخص، فهذه الآية أيضًا فيها جانب تعليمي مهم جدًا لنا، وهو أنه من العيب أن يرى الإنسان عورة أخيه ولا ينظر إلى القذى في عينه، من المؤلم جدًا أن تكون ديار المسلمين اليوم مُستباح و القتل يُعمل بهم ويتعامى عن كل جرائم المجرمين ثم ينظر إلى أخطاء المجاهدين، من المعيب جدًا أن تتعامى عن الفصائح التي يفعلها الأعداء ثم تركز على أخطاء بسيطة متعلقة في أشياء يسوغ فيها الخلاف، من السيء جدًا أن يكون الإنسان يأكل الربا ويفعل الموبقات ثم يقول لك: فلان في الصلاة كأنه أنزل يديه قليلاً لو رفعهم قليلاً أو أنزلهم؛ هذه قضية فقهية تُعالج في مكانها لا يوجد أي مشكلة لكن من المعيب- أهل الشام كان عندهم مثل يقولون: يأكل الثور ويغص بالذنب ، الثور كله يتلعه وعندما يصل عند الذنب يغص فيقول: كأنه ثقيل على المعدة، والثور قد مّر كله ما شعر به- فمن المعيب جدًا أن الإنسان ينظر إلى أخطاء بسيطة يفعلها بنو جلدته و يتعامى عن بلايا أعدائه، وهذا اليوم نسمعه على وسائل التواصل الاجتماعي وكذا، "أن هؤلاء كأنهم من جماعة كذا، أو جماعة...."، الآن لا يوجد جماعة الآن هناك عدو عائش يستبيح دماءهم، هم إخواننا هم منا ونحن منهم ، لهم منا كل الدعم وكل الحب الخلافات جانبًا، فهذا أيضًا درس تأديبي من دروس الأشهر الحرم (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) لا نختلف، لكن الصد عن سبيل الله و الكفر بالله وإخراج الناس من المسجد الحرام ومنعهم من دخوله وإكراههم على الشرك هذا أشد من القتل، فهذا درس آخر من دروس هذا الشهر الحرام الذي أحببت الحديث عنه، هذا والله تعالى أجل وأعلم، والحمد لله رب العالمين.

نور الدين الاسلامي